The Quarterly Journal of Lisān-i mubīn
(*Research in Arabic language and literature***)**
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516

The Social Anthropology of the Ruler's functions in Poems of "Khalil Mutran"

Shahla Jaafari [1], Sayyed Fazlollah Mirghaderi [2], Hosein Kiany [3]

[1] Department of Arabic language and literature. Shiraz University. Shiraz, Iran
[2] professor of Arabic language and literature, Shiraz University. Shiraz,. Iran
[3] Associate professor of Arabic language and literature. Shiraz University. Shiraz, Iran

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
10/07/2023
Accepted:
12/02/2024

ABSTRACT

Social anthropology studies how individuals function and behave within a social system. The concept of function holds significant importance in social anthropology as it pertains to the actions and activities of individuals within a specific social organization. Khalil Mutran lived in a society governed by tyrannical Ottoman kings, whose actions resulted in the people's subjugation and obedience to the sultan's orders. It had negative consequences and hindered social progress during that period. Drawing on his innovative perspectives, Mutran explored new anthropological concepts that transcended the limitations of time and place. By introducing Arabic poetry in a fresh direction, he established the foundations of his school of thought that aligned with the functions of human agency.This research analyzes the most significant functions of rulers in Khalil Mutran's poetry through qualitative content analysis and social criticism, serving as a fundamental pillar in social anthropology research. The findings indicate that the sultan imposed authoritarian functions on the nation, operating outside the boundaries of the law and utilizing social control mechanisms to further his interests and dictate the organization of affairs. It influenced people's behavior and social conduct, legitimizing and elevating the ruler's position. These factors formed the basis for class relations within that society.

Keywords: **:** Social anthropology, Function, Dominance, Social control, Khalil Mutran.

Cite this article: Jaafari, Shahla., Mirghaderi, Sayyed Fazlollah., Kiany, Hosein. (2024). *The Social Anthropology of the Ruler's functions in Poems of "Khalil Mutran",* Vol. 16, New Series, No.56, Summer 2024: pages:109-128.

DOI: 10.30479/lm.2024.19024.3568

© The Author(s).
Publisher: Imam Khomeini International University

فصلية لسان مبين العلمية
(بحوث في اللغة العربية و آدابها)
الترقيم الدولي الموحد للطباعه : ۲۳۵۵-۸۰۰۲
الترقيم الدولي الالكترونيكي: ۲۶۷۶-۳۵۱۶

الأنثروبولوجيا الاجتماعية لأدوار الحاكم في شعر خليل مطران

شهلا جعفري*[1]، سيد فضل الله ميرقادري[2]، حسين كياني[3]

[1]* خريجة مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، شيراز، إيران.
[2] أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، شيراز، إيران.
[3] أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، شيراز، إيران.

معلومات المقالة

نوع المادة:
مقاله محكمة

تاريخ الوصول:
١٤٠٢/٠٤/١٩
تاريخ القبول:
١٤٠٢/١١/٢٣

الملخص

تهتمّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة أدوار آحاد النّاس وتصرفاتهم الاجتماعية في إطار البناء الاجتماعي. بناء على هذا فإنّ الدّور يعتبر من أهمّ مفاهيم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فهو الإسهام الّذي يؤدّيه الناس داخل بناء خاص. وفقاً لهذا الأمر وبما أنّ خليل مطران عاش في مجتمع رزح تحت وطأة الحكّام العثمانيين الذين كان لهم الأثر الكبير على أدوار الشّعب؛ حيث ساقهم ذلك إلى الانقياد والخضوع اتجاه أدوار الحاكم وكذلك الحدّ من التغيير الاجتماعي لذلك المجتمع، لقد استطاع الشاعر بفضل تجديده أن يتناول مفاهيم جديدة ويعبّر عن فكرة راقية تتحدّى حدود المكان والزمان واختطّ منهجه في الإنسان والمجتمع الّذي عاش فيه بخطى متّزنة. تأسيساً على هذا، فإنّ الدّراسة هذه، تحاول من خلال منهج تحليل المحتوى النوعي وفي ضوء النقد الاجتماعي الذي يُعدّ الحجر الأساس للدّراسات الأنثربولوجيا الاجتماعية، أن تتوقف عند أهمّ أدوار الحاكم في شعر مطران. لقد وصلت النتائج إلى أنّ الحاكم يفرض أدواره السلطوية على الشّعب ولم يتقيد بأيّة ضابطة قانونية ولا يتبع سوى هواه ومصالحه في تحقيق مآربه والتّحكم في مجرياته إلّا أنّه يعتمد على آليات الضبط الاجتماعي التي تنظم سلوك الفرد والجماعة موازية لأوامره؛ الأمر الّذي يؤثر على أدوار الشّعب وممارساته السلوكية والاجتماعية ممّا يؤول إلى أنّ الشعب قد كرّس على استعلاء مكانة الحاكم و إضفاء الشرعية لها؛ ممّا هيّأ ذلك كلّه الأرضية للعلاقات الطبقية في ذلك المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الدّور، السلطة، الضبط الاجتماعي، خليل مطران.

الاقتباس: جعفري ، شهلا ؛ ميرقادري ، سيد فضل الله ؛ كياني ، حسين. (١٤٠٣). الأنثروبولوجيا الاجتماعية لأدوار الحاكم في شعر خليل مطران ، السنة السادسة عشرة، الدورة الجديدة ، السنة السادسة عشرة، الدورة الجديدة، العدد ستة و الخمسون ، صيف١٤٠٣، ١٢٨-١٠٩.

المعرف الرقمي: 10.30479/lm.2024.19024.3568
الناشر: جامعة الإمام الخميني الدولية
حقوق التأليف والنشر © المؤلفون.

* – عنوان البريد الإلكتروني (للكاتب المسؤول): *sh.jafary90@gmail.com*

۱. المقدمة

إنّ الأدب ليس بمنأى عن السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع وكذلك أدوار الأفراد وتصرفاتهم الاجتماعية. لذلك يعتبر النّص الأدبي خطاباً يُعرف به ممّا ضبط فيه من عناصر اجتماعية أو ثقافية أو أنثروبولوجية. انصبّ اهتمام الشعراء في عصر النّهضة العربية على دراسة المجتمع وممارسات الأفراد أكثر من أيّ وقت مضى. الأمر الذي لم يغب عن منظار الشعراء في تلك الفترة ولا سيّما خليل مطران والذي من شأنه أن يكون مهتمّاً بقضايا مجتمعه ومعرفة أدوار الأفراد الاجتماعية بغية توعيتهم على ما نالهم من الظلم والاستبداد؛ هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى عاش الشاعر في المجتمع الذي رزح تحت أثقال الحكّام العثمانيين وكان لهم أثرهم في تحديد سلوكيات الشّعب نحو متطلباتهم الاستبدادية ومن ثمّ الحيلولة دون التغيير الإيجابي للمجتمع؛ فكان طبيعياً أن يتحدث في أشعاره عن أدوار الحاكم السلطوية بغية تغيّر السلوك السياسي للحاكم وما تبعه من أدوار الشعب.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث؛ حيث إنّ معرفة أدوار الحاكم وسلوكياته، تشكّل حقلاً معرفياً لفهم الإنسان وكذلك الكشف عن بنية المجتمع التي تؤدي إلى التغيير في البناء الاجتماعي أو أدوار الشّعب. كما أنّ معرفة النّمط السّلوكي للحاكم ترتبط بالبناء الاجتماعي وتسهم في فهم العلاقات الاجتماعية لأفراد المجتمع؛ ممّا جعل مجال الدّراسات الأدبيّة والأنثروبولوجية المتّسمة بالبينية خصباً.

إنّ سبب اختيارنا لأشعار مطران كونها ذات طاقة أنثروبولوجية اجتماعية وبما أنّ طبيعة دراسات الأنثروبولوجيا، تقتضي مشاهدة الواقع أو الحضور في ساحة المجتمع البحثي ومطران كان كعالم أنثروبولوجي شاهد وقائع قصائده؛ حيث قد أشار إليها تحت عنوان معظم قصائده، «حضر النّاظم وقائعها» أو شارك بنفسه في أحداثها مشاركة عملية؛ هذا من الناحية الأولى؛ أمّا من الناحية الثانية، فلقد استقى بعض قصائده من القصص الشّعبية الّتي كانت من أهمّ المصادر والمراجع في دراسات الأنثروبولوجيا. أضف إلى هذا أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة أدوار الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية في إطار بناء خاص كالتنظيم السياسي، والأسري، والدّيني وغيرها من النّظم؛ وهذا الأمر يحدّد لنا ميداناً دراسياً نعتني فيه بدراسة أدوار الحاكم في إطار البناء السياسي من خلال تحليل أشعار مطران الاجتماعية؛ لأنّ أيّ دور وظيفي لايمكن معرفته إلّا حينما يؤخذ بالاعتبار في إطار بناءه الخاص. بناء على هذا اعتمدنا على منهج تحليل المحتوى النوعي الذي يلائم الدراسات الأنثروبولوجية- الأدبية وفي ضوء النقد الاجتماعي لكونه انطلاقاً للدراسات الأنثروبولوجية وذلك للكشف عن أهمّ أدوار الحاكم في شعر خليل مطران هذا ما جعلها أكثر اتّساقاً مع الاتّجاه البنائي، الوظيفي الذي يهتمّ بالأدوار الّتي تؤدّيها النّظم المختلفة أو عناصرها وأفرادها ويدرس صلة هذه السّمات بعضها ببعض. ثمّ تسعى هذه الدّراسة الإجابة عن سؤالين:

-ما أهمّ سمات الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تمثلت في أدوار الحاكم بشعر مطران؟ما الغاية الرئيسة التي تكمن وراء أدوار الحاكم هذه؟

۱-۱. خلفية البحث

عالجت دراسات كثيرة شعر مطران من جهات مختلفة؛ إلّا أنّنا نذكر في هذا المجال، ما يقترب من الجانب الاجتماعي ومن موضوع بحثنا وأهمّها ما يلي:

نازيلا غلامي (۱۳۹۰ش) في رسالتها المعنونة بـ "بازتاب زندگی مردم در شعر محافظين: احمد شوقی، خليل مطران و

حافظ ابراهیم" عالجت الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر ولبنان قبل ثورة نابليون وبعدها في فصلين. أمّا فيما يخصّ حياة النّاس في أشعار الشعراء الثلاث، فلم تكد تنجح الباحثة؛ إذ إنّها اهتمّت بدراسة المضامين الاجتماعية العامّة كالعلم والوطن والمرأة والحريّة والعدل والظّلم في الأشعار هذه؛ بعبارة أخرى لم تعتن الدّراسة هذه بتحليل أدوار النّاس في أشعار هؤلاء الشّعراء.

منصوره زركوب و زهرا سليمان‌بور (۱۳۹۱ش) تطرّقتا في مقالتهما المعنونة بـ "خليل مطران بين الشعر التاريخي والنّضال السياسي" إلى دراسة شعر مطران التاريخي والإبانة عن آراء الشاعر في الصلة بين التاريخ والسياسة. كما حاولت المقالة هذه، التركيز على مواقف شاعر القطرين من الحكّام الجبابرة. وما ينقص هذه المقالة بالمقارنة إلى موضوع بحثنا هو عدم الاعتماد على تبيين أدوار الحكّام المستبدين.

فرج الله روان‌روح (۱۳۹۴ش) قد جاءت أطروحته "تحليل أدبی شعر سياسی، اجتماعی خليل مطران" في أربعة فصول. وعالج الأحوال السياسية والاجتماعية لواقع الشاعر المعاش. ثمّ تناول أهمّ المضامين السياسية والاجتماعية منها الاستبداد والاستعمار والفقر والجهل والمرأة. وأخيراً حاول الباحث القضايا الفنّية والأدبيّة كقضيّة الإيقاع والخيال الشعري. إنّ ما لفت انتباهنا في هذا البحث، هو بعض إشارات الباحث إلى الحكّام وأعمالهم المستبدة بشكل توصيفي؛ إذ يكاد البحث يخلو من تحليل هذه الأنماط السلوكية للحاكم.

ناصر قاسمي وزين العابدين فرامرزي (۱۳۹۵ش) تناولا في مقالتهما الموسومة بـ "الشعر القصصي عند خليل مطران في مرآة النّقد الاجتماعي"، شعر مطران القصصي في المستويين: التّاريخي والاجتماعي؛ كما اهتمّا بتحليل بعض مضامينه السياسية بدءاً من ظلم الحكّام وامتداداً إلى آلام الشعب وعواطفه المكبوتة تجاه هؤلاء المستبدّين ووصولاً إلى أنّ الشعب كان مسؤولاً عن هذه الأعمال. مع أنّ هذين الباحثين أشارا إلى شخصية الحاكمين الغاشمين (نيرون وكسرى)؛ إلّا أنّهما لم يقصدا تبيين أدوار الحاكم بالتفصيل.

وهناك دراسات حظيت باهتمام الدارسين والباحثين في مضمار الأنثروبولوجيا و نحن نشير إلى أهمّها:

اهتمّ سيف الدين هضام وشعيب مرنيز (۲۰۲۲م) في رسالتهما تحت عنوان "الظواهر الأنثروبولوجية في الخطاب الروائي الجزائري "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي أنموذجا" بدراسة فرعين من الأنثروبولوجيا: الاجتماعي والثقافيّ. استشفّ الباحثان العادات والتقاليد السائدة (في مجتمع الجزائر). لقد ذكرت الدراسة في نتائجها أنّ «قسيمي» استقطب هذين الفرعين للأنثروبولوجيا للكشف عن الثقافة الجزائرية بجلاء.

تناولت دراسة شهلا جعفري وآخرين (۱۴۰۱ش) في مقالة بعنوان "مظاهر الأنثروبولوجيا الاجتماعية في قصيدة "مقتل بزرجمهر" لخليل مطران" الأنماطَ السلوكية للشخصيات الرئيسة كالحاكم والوزير وابنته وكذلك الشعب. وأخيراً استنتج الباحثون أنّ تصرفات هؤلاء الأفراد، تمثّلت بشكل مضاد للقيم وفيه تناقضات الثقافية واجتماعية.

تبيّن لنا ضمن معالجة البحوث السابقة، أنّ الدراسات المتعلقة بشعر مطران، تطرّقت إلى الجانب الوصفي العام للمضامين الاجتماعية أو دراسة ظاهرة من الظّواهر الاجتماعية؛ وهذا يعني أنّ الباحثين في هذا المجال تعرّضوا إلى الدّراسات الاجتماعية التّقليدية في التّعاطي مع النّصوص الأدبيّة، دون محاولة الوقوف على أيّ جانب من جوانب الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

والملاحظ للدراسات المرتبطة بالأنثروبولوجيا -ما عدا مقالة جعفري وآخرين (۱۴۰۱) التي درست الشخصيات

الرئيسية في قصيدة "مقتل بزرجمهر"، منها: الحاكم، والشعب، والوزير وابنته. ورغم أنّ هذه المقالة أشارت إلى دور الحاكم في قصيدة واحدة وبصورة عابرة، إلّا أنّها اقتصرت في دور سلطة عبدالحميد العثماني دون غيرها من الأدوار كالضبط الاجتماعي ومكانته وعلاقاته مع المحكومين- يجد أنّ معظمها تناولت العادات والتقاليد السائدة في مجتمع ما من خلال الرواية؛ وكأنّ دارسي هذه الأبحاث اعتمدوا على المدرسة الأمريكية والتي تعتبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرعاً من الأنثروبولوجيا الثّقافية. في حين اعتنى كاتبو المقالة هذه، على المدرسة البريطانية التي تتمثّل الأنثروبولوجيا الاجتماعية فيها كقسم مستقل بذاته وهي تهتم بدراسة الأدوار الاجتماعية في إطار بناء خاص كالبناء السياسي والأسري والديني وغيرها من النُظم.

فينفرد هذا المقال عمّا سبقته من الدّراسات في تصديه لإحدى فروع الأنثروبولوجيا ألا وهي الأنثروبولوجيا الاجتماعية معتمداً على تحليل أهمّ أدوار الحاكم في إطار البناء السياسي قاصداً انسجام البناء أو تغييره.

۲. الإطار النظري للبحث

۲-۱. مفهوم الأنثروبولوجيا، نشأتها وتطورها

تعدّ الأنثروبولوجيا من أحدث فروع العلوم الاجتماعية، ولها خلفية تقارب زهاء قرن من الزمن و«هي مركّبة من مفردتين: الأولى وهي «الأنتروبوس»[۱] يعني «الإنسان» والثّانية «لوغوس»[۲] بمعنى «العلم» و«الدراسة» (Nicholson,1968:1)؛ هذا هو معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللّفظ؛ أمّا من النّاحية الاصطلاحية، فلها تعاريف عديدة في قاموس الفكر الأنثروبولوجي وفقاً لفروعها واتّجاهاتها والفترات الزمنية الّتي مرّت بها.

مهما يكن من أمر فإنّ الأنثروبولوجيا تُعني العلم الّذي يُعنى بدراسة الإنسان على الإطلاق. والمسار التاريخي لهذا العلم، يبدي لنا أنّ الأنثروبولوجيا في العصور القديمة ولاسيما عند المصريين والرومانيين واليونانيين ظلّت مقصورة في دراسة المجتمعات البدائية والنزعة العنصرية للإنسان.

وبقيت الدّراسات الأنثروبولوجية في العصور الوسطى منكبةً على دراسة بعض تقاليد الشّعوب المجاورة وعاداتهم. ورغم أنّها حظيت بشعبية كبيرة، إلّا أنّها اتّسمت بالوصف التخيّلي. وإذا طوينا عصر النّهضة وجدنا أنّ الأنثروبولوجيا انتقل معناها من دراسة الشّعوب البدائية إلى دراسة الموضوعات والفروع المتعدّدة لها؛ إذ إنّ الحرب العالمية الثّانية وما تبعها من التّقدّم الصّناعي والتّحولات السياسية والاجتماعية وكذلك تنامي الاتّجاهات الفكرية والتّحررية الّتي كانت مؤدّاها النّظرة الجديدة إلى المجتمع والإنسان أدّت إلى انتقال الأنثروبولوجيا من حقله العام إلى الخاصّ.

يُعدّ القرن الثامن عشر للميلاد بداية لنشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث أنجزت الدّراسات في هذا المجال، حول الأبنية الاجتماعية و«كان في مقدّمتها كتاب «روح القوانين» الّذي ألّفه «مونتسكيو»[۳] والّذي أكّد فيه أنّ المجتمع البشري يتكوّن من مجموع نظم مترابطة بحيث لا يكمن فهم القوانين عند أيّ شعب من الشّعوب، إلّا إذا درست العلاقات الّتي تحكم هذا النّظام أو ذاك» (سعفان، د.ت: ۳ و٤). وفي النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر للميلاد تمّ تحديد المعالم الأساسية لهذا العلم ووضعت الأسس المنهجية للأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ حيث قام كلّ من «تايلور»[٤] و«ماكلينان»[٥] في انجلترا و «بافوفين»[٦] في سويسرا، بجمع المعلومات عن الشّعوب البدائية بصورة منهجية ودراسة النّظم الاجتماعية في حدود الأبنية الاجتماعية.

ولا نكاد نتجاوز القرن العشرين حتّى نجد أنّ هذا الفرع من الأنثروبولوجيا يقوم بالعناية بدراسة الأبنية الاجتماعية للمجتمعات، ثمّ يصل هذا العلم مرحلة الاختصاص. وممّا زاد في هذه العناية، الدراسة الّتي قام بها «رادكليف براون»[٧] وخصّ مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية عنده بالبناء الاجتماعي و تفسير أدوار آحاد الشعب والعلاقات القائمة بينهم.
وفيما ذكرناه دلالة بيّنة على أنّ مفهوم الأنثروبولوجيا ارتقى شيئا فشيئا خلال العصور انطلاقاً من دراسة الشّعوب البدائية وتقاليدها والخصائص البيولوجية للإنسان وصولاً إلى منطلقات جديدة منها: استكمال مفهومها والتغيّرات الجوهرية في موضوعها، وفروعها، إضافة إلى منهجية دراستها واتّجاهاتها المعاصرة.

۲-۲. إشكالية حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

بما أنّ الثّقافة من العوامل المثيرة للانتباه في دراسة البناء الاجتماعي أو الأدوار الاجتماعية للأفراد، لذا «يقع الاختلاف بين العلماء حول تسمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ حيث اعتبر علماء المدرسة الأمريكية الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرعاً من الأنثروبولوجيا الثّقافية، على أساس أنّها الفرع الّذي يتخصّص في دراسة جانب العلاقات الاجتماعية من الثّقافة، في حين يرى علماء المدرسة البريطانية أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية يمثل كلاهما قسماً مستقلاً بذاته في نطاق الأنثروبولوجيا العامّة، لذلك فإنّهم يرون ضرورة الفصل بينهما» (لموالدي، ۲۰۱۵: ۸٤).

ثمّ هناك بعض الباحثين ممّن يؤكّدون على امتزاج الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثّقافية دون الاعتماد على الفرق بين هذين الفرعين. وفي هذا السّياق ينبغي لنا الإشارة إلى أنّ الفارق الرئيس بينهما واضح بيّن؛ إذ إنّ الأنثروبولوجيا الثّقافية تهتمّ بدراسة الإنسان باعتباره كائناً حضارياً يعيش في مجتمع ما مع التّركيز على ثقافته بشقّيها المادّي واللامادّي في نشأتها، تطوّرها وانتشارها؛ بينما الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولو كانت تشير إلى مظاهر الثّقافة بمثابتها عنصر أساسي للبناء الاجتماعي لأيّ مجتمع أو كانت تعتمد في استقاء مادّتها المعرفية على الثّقافة، لكنّها تقوم بدراسة «البناء الاجتماعي والوحدات الرئيسة المكوّنة له والمقصود منها مجموعة الأدوار والعلاقات المتّصلة بقطاع خاص أو جانب معيّن من جوانب حياة المجتمع» (الجوهري وشكري، ۲۰۰۷: ۳۳).
تأسيساً على ما سبق من القول، فإنّ التّعرف على أدوار آحاد المجتمع هو قطب الرحى لهذا الفرع من الأنثروبولوجيا؛ ممّا دفع العالم الأنثروبولوجي اجتماعياً إلى القيام بتحليل أدوار الأفراد وممارساتهم الاجتماعية ضمن إطار المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

۲-۳.الاتجاهات المعاصرة في حقل الأنثروبولوجيا

لم تعرف الأنثروبولوجيا في صورتها الأولى اتّجاهات واضحة، لكنّها ساعدت النّهضة الفكرية بداية من القرن التّاسع عشر للميلاد باتّجاهات جديدة فاتحة مسار الأنثروبولوجيا العلمية وهذا ما أسهم بفاعلية في إرساء دعائم علم الأنثروبولوجيا المعاصر. ومن أهمّ هذه الاتجاهات هي:

۲-۳-۱. الاتجاه التاريخي- التطوري

إنّ الأنثروبولوجيين الأوائل هم الّذين تأثّروا كثيراً بالاتّجاه التطوري، التّاريخي في تفسيرهم لتطور الإنسان والمجتمعات؛ بحيث يعدّ هذا الاتّجاه من أوّل الاتّجاهات ظهوراً في دراسات الأنثروبولوجيا. إنّ المادّة الرئيسة الّتي يقوم بها هذا الاتّجاه

هي دراسة أصول الإنسان أو الظواهر الاجتماعية في تدرّج تاريخي خطّي.

۲-۳-۲.الاتجاه الانتشاري

جاء هذا الاتّجاه كردّة فعل للاتّجاه التّطوري إلّا أنّ كلا الاتّجاهين، التّطوري والانتشاري، يهتمّان بالماضي عند دراستهما للنّظم الاجتماعية غير أنّ الطّابع الغالب على الاتّجاه الانتشاري هو التّعرّف على منشأ حضاري للمجتمعات البشرية. على هذا الأساس فإنّ هذا الاتّجاه يولي عنايته بالدّراسة التّاريخية والمكانية للثّقافات الإنسانية.

۲-۳-۳.الاتجاه البنائي-الوظيفي

لا يعبأ الاتّجاه البنائي، الوظيفي بالتّاريخ والتّطوّر بقدر ما كان مهتمّاً بالوظائف والتفاعل القائم بين مختلف النّظم الاجتماعية؛ لأنّه يُعنى بتبيين دور أو وظيفة أيّ عنصر في البناء الاجتماعي وهذه العناية توافق تماماً الأنثروبولوجيا الاجتماعية. يعود الفضل الأكبر في ترسيخ هذا الاتّجاه إلى «رادكليف براون» وهو يرى أنّ البناء الاجتماعي يمثّل موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية مع السعي إلى استبعاد الدّراسات الوصفيّة والتّاريخية للمجتمعات والتأكيد على الدّور للعناصر الاجتماعية، ثمّ العلاقات المتبادلة المكوّنة لها.

۲-۳-۴. الاتجاه التأويلي

يتجاهل الاتّجاه التّأويلي أيّة إشارات أخرى من التّطور أو الانتشار أو الوظيفة في تفسير المجتمع أو ثقافته؛ فهو يؤمن بأنّ تفسير ثقافة المجتمع علم تأويلي. لقد بلورت فكرة رئيسية لهذا الاتّجاه عند «كليفورت غيرتز»[۸] وهو يذهب إلى أنّ «شبكات المعاني هي الّتي تشكّل الثّقافة وتجعل منها نسقاً يتجسد في الرّموز المنقولة، وهذا النّسق برأيه هو الّذي ينظّم الحياة الذاتية ويوجّه السّلوك الإنساني» (حبيدة وآخرون: ۲۰۱٤: ۷).

۲-٤. الأنثروبولوجيا عند العرب

وحريّ بنا أن نذكر أنّ فضل دراسات الأنثروبولوجيا لايعود إلى الغرب كلّه، إذ إنّنا لا نستطيع إنكار أو تجاهل العرب بأنّهم كانوا أسبق من الغرب في هذه الدّراسات؛ كما نرى عند ابن خلدون في مقدّمته والجاحظ في كتابه «الحيوان» وابن مسكويه وابن جبير و... . وهو أكثر وضوحاً في العصور الوسطى عند رحّالة العرب من أمثال ابن بطوطه والبيروني. ولقد كان الأوروبيون على اطّلاع من هذا الأمر، مع الاعتراف بتأثير التّراث الحضاري العربي على حضارتهم. «و إذا ما عدنا إلى الفترة الممتدة من منتصف القرن الثّامن للميلاد إلى نهاية القرن الحادي عشر، نجد أنّ العرب كانوا عباقرة الشّرق في علوم الاجتماع والفلسفة وغيرها من العلوم؛ بينما راح الغرب يستفيد من علوم العرب ويطوّرها منذ فجر نهضته وحتّى يومنا هذا» (الشمّاس، ۲۰۰٤: ۲۱۹و۲۲۰).

مهما يكن الأمر فإنّ الأنثروبولوجيا لا تزال غير ممثّلة إلى حدّ كبير في المؤسسات الأكاديمية العربيّة ويزداد إدراكنا لضعف تمثيل الأنثروبولوجيا، حينما نجد أنّ معظم الدّراسات الأنثروبولوجية قد أنجزت في البلدان الغربية وتُستبعد الدّراسات العربية من دائرة البحث في هذا المجال. و«قد يكون ذلك راجعاً إلى ضعف في الإعداد العلمي وعدم إدراك مدى اتّساع البحث، لكنّه يرجع بلا شك وفي المقام الأوّل إلى الخوف من الانطلاق والمبادرة» (أبوزيد، ۲۰۰۱: ۷).

وإذا كان المتحمّسون العرب يؤكّدون على تأخير الدّراسات الأنثروبولوجية ويبدون كثيراً من التّحفظات على الأنثروبولوجيا خاصّة انتفاع الاستعمار من دراساتها؛ فإنّ ذلك لا ينطبق على بحوث الأنثروبولوجيا المعاصرة بشكل تامّ.

إذ إنّ النظرة الّتي توصّل إليها العرب فيما يتعلّق بسيطرة الاستعمار على الدّراسات الأنثروبولوجية تكون نظرة سطحية وكلاسيكية في آن واحد. أمّا كونها سطحية فهي من أنّ الأنثروبولوجيا اليوم تجاوزت ذاتها إلى الأنثروبولوجيا المعاصرة وتوظيف أبحاثها في ترسيخ التّواصل الإنساني بين الشّعوب. يضاف إلى ذلك إغفال أو عدم اهتمام الباحثين بالاتّجاهات المعاصرة للأنثروبولوجيا ولا سيّما الاتّجاه البنائي- الوظيفي؛ إذ «تعتبر علاقة هذا الاتّجاه بالاستعمار سلبية» (أوجيه، ۲۰۰۸: ۷٦). وكلاسيكية لأنّ معظم الدّارسين يعتقدون أنّ الأنثروبولوجيا تختص بمنطقة خاصّة أو فترة معيّنة أو بالأحرى تكاد تنحصر في المجتمعات البدائية وفي العصور الوسطى.

۳.الإطار التطبيقي للبحث

۳-۱. أدوار الحاكم في شعر مطران

يُعدّ الدّور من المفاهيم الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية في تحليل البناء والأداء الوظيفي للنُّظم الاجتماعية بما فيها من مكونات فردية وممارسات اجتماعية. فهو الإسهام الّذي يؤديه أيّ نظام خاص وكذلك أفراده في أيّ بناء اجتماعي. ولكلّ نظام في المجتمع وظيفة محدّدة يؤدّيها الأفراد ضمن إطار البنية الخاصّة المتعلّقة به؛ إضافة إلى أنّ لا بناء اجتماعياً هناك من دون أدوار ووظائف. بناء على هذا فإنّ أدوار الحاكم في إطار البناء السياسي تحدّد كيفية التّعامل مع المحكومين. إنّ الملاحظ لهذا المصطلح الأنثروبولوجي والبنائي- الوظيفي، يجد بأنّه يتداخل بعضه مع البعض الآخر؛ إذ إنّ التّحليل الوظيفي يوجّه اهتمامه نحو هذا المعنى ألا وهو الاعتناء بأدوار الأفراد في إطار بناء خاص. هذا وبالإضافة إلى أنّ أدوار الحاكم هي الّتي تحدّد علاقات الأفراد وتصرفاتهم الاجتماعية؛ تطبيقاً على هذا، نقوم بتسليط الضّوء على أهمّ أدواره السلطوية وتفسير واجباته؛ اهتماماً بالسلطة وما يتّصل بها من نزوعه نحو الاستغلال والهيمنة والضّبط الاجتماعي وآلياته.

۳-۱- ۱. السّلطة

تُعدّ السّلطة نمطاً من أنماط السيطرة الاجتماعية والسياسية وكانت قاعدتها تتكوّن من أدوار وعلاقات مرتبطة بعضها ببعض وتمتاز بأنّها تنظّم شؤون الأفراد وأدوارهم وفقاً للقوانين المحدّدة. إذن «تتداخل السّلطة بشكل مباشر مع الأنثروبولوجيا الاجتماعية كما تتداخل معها فروع أخرى من العلوم الاجتماعية وبطبيعة الحال فالفكر السياسي وفلسفات التّاريخ وغيرها من العلوم كلّ ذلك يتداخل ضمن تلافيف الشبكة العنكبوتية لأبحاث السّلطة» (ثربورن، ۱۹۸۲: ۶۲). إنّ الحديث عن سلطة الحاكم كظاهرة اجتماعية وسياسية ضروري للبناء السياسي ومن ثمّ لتبيين العلاقة بين الحاكم والمحكوم. بتعبير آخر إنّنا لا نستطيع أن نفهم أدوار الحاكم ما لم نعترف بأنّ «كلّ تفكير حول الحاكم يدور على محور السّلطة ومن يتساءل عن دور الحاكم، يحاول أن يحلّل سلطته بالنّظر إلى البناء الاجتماعي والسّياسي» (العروي، ۱۹۸۰: ۶)، هذا، ومن جهة أخرى وفقاً للاتّجاه البنائي، الوظيفي لا يمكن فهم دور أو وظيفة أيّ عضو من أعضاء البناء الاجتماعي إلّا في ضوء علاقته مع العناصر الأخرى، إذن يترتّب على ذلك ضرورة دراسة سلطة الحاكم في إطار علاقته بالمحكومين.

بما أنّ حياة مطران قارنت الاستبداد العثماني، أمسى وقع هذا الواقع أكثر إيلاماً له، وذلك ما أتاح له الفرصة للاهتمام

بالإنسان وأدواره الاجتماعية. لذا نجده يشير إلى امتداد سلطة الحاكم الشاملة مؤكّداً على جوانبها السّلبية الّتي تفوح منها رائحة الموت والقيام بأدوارها العنيفة والّتي تفضي إلى خراب المعمور والمجتمع بأكمله. فيصبح الحاكم ذا سيادة كاملة، حيث لا يبقى مبرّراً لبطشه، لكنّه يواصل فرض سيطرته على المجتمع برمّته:

مدّ في الآفاقِ ظلّاً جائلاً هو ظلُّ الموتِ أو أعدى أو ضرى
إن رسا في موضعٍ طمَّ الأسى أو مَضى فاظنُنْ بسيف الله بترا
مُتلفاً للزّرع والضّرع معاً تاركاً في إثره المعمور قَفرا

(مطران،۱۹۴۹، ج۳: ۵۱)

والواضح أنّ الحاكم هنا قد بلغ في قهره واستبداده درجةً أعلى من التّدمير والقمع الذي يقود الشّعب إلى الإقصاء والتهميش والصمت. فلا بدّ أن يستخدم كلّ إمكانيته المتسلّطة دون أن يجدَ لأدواره الغاشمة مبرّراً؛ لعدم اقتداره على إنتاج آليات قادرة على ضمان الاستقرار الاجتماعي والأمن السياسي؛ كما لم يعد قادراً على إنتاج ذاته إلّا بإعادة النّظر في استخدام السّلطة.

ولعلّ أوّل ملاحظة هنا هي أنّ هذه الممارسات تخلق لدى الحاكم شعوراً بالسّمو وتتعالى روحه عن أمثاله من أفراد الشّعب؛ ممّا يؤدي إلى إيمان المحكومين بقداسة السلطة أولاً وبقداسة من يمارسونها ثانياً ومن ثمّ الانقياد المطلق له والخوف التام من رفض أوامره لعدم انتهاك لغة المقدسات. ولذلك لم يعد من الغريب أن نقول إنّ الحاكم يصبح قادراً على توجيه أدوار الشعب الاجتماعية حسب مشيئته.

ثمّ وللحصول على قدرة التأثير في سلوكيات المحكومين، يلجأ إلى خطوة طبيعية لممارسة السلطة وهي الخدعة والتّزوير. فيقوم بهذه الأدوار من خلال التلبس بالحلم والليونة لمنح السلطة شرعية خاصة؛ ما يساير فيها الشّعب أو المجتمع وهذا ما اتّخذه الحاكم-نيرون- الذي يُعدّ رمزاً لكلّ حاكم مستبدّ.

لبسَ الحلمَ لهم حتّى إذا أنَسَ الحلمَ بهم منه تعّرى
وانتحَى يُرهقهم خَتراً فما عاقلٌ في معقل يأمن خَترا

(المصدر نفسه: ۵۱)

هذا النّمط السّلوكي سيُولّد شكلاً من الإيدئولوجيا الّتي لن تكون ماثلة في تعزيز العلاقة بين الحاكم والمحكوم فحسب، وإنّما تكون آلية استراتيجية فعّالة لتدليل التأثير على الغير وتبرير السلطة الشرعية. والمقصود بذلك الوسيلة المعدّة لإحراز النّصر وترسيخ سطوة الحكم؛ إذ «إنّ الخدعة والدّهاء للسّلطة توطّد الأدوار بصورة أفضل» (بالانديه، ۲۰۰۷: ۴۱). ويجب أن نقول أن القوة المستخدمة هنا ليست مجرّد المواجهة والتّصادم أو آلية مادّية كوسائل العنف، بل ناجمة عن نفسية الحاكم أو قُل القوة الواثقة من ذاته لتكيّف الشّعب واستسلامه نحو استقرار الحكم.

وفي هذه الحالة ليس شأن الحاكم ايدئولوجية العدالة، لكنّه حالف الظّلم والعصيان لكي يقوم بأدواره المعروفة استبدادياً واجتماعياً دون تقليصها أو تحجيمها. وليس هناك لمناهضة الشّعب أيّ معنى في ذاك المجتمع؛ لأنّ «جميع النّاس عبيد الحاكم، فلا يستطيعون الدّفاع عن وطنهم وحقوقهم والخلاص من السّلطة الحاكمة» (درويش، ۲۰۱۰: ۴۶)، وهنا تتحكم أساليب الضّبط الاجتماعي والتي هي من أهمّ عوامل توافر السّطوة والتسلّط لدى الحاكم:

عَظمت فتنتُه من فرط ما رقَّ فالنّاسُ أرقّاء وأسرى

يـقـدرُ الشـــئ مـعـانـي كَسـبـه فـإذا مـا هـان كسـبـاً هـان خسـرا
عـاث فـيـهـا مُسـتـبـدّاً مُسـرفـاً دانـبَ الأجـرام عَـوّالاً مُصـرّا...

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۳: ۶۹ و ۷۰)

ثمّ تتجسد السّلطة في دورها الوظيفي بإلزام المحكومين بمتابعة الحاكم الذي يمارس مهامّه السّلطوية. ويبدو أنّ الحاكم باستطاعته أن يعيد تعزيز وضعه مستوحياً ذلك من إيدئولوجيته ومن ثمّ إخضاع الشّعب حتّى يحكم بشكل جوهري بين علاقات السّيطرة الاجتماعية وقوى تنفيذ مهامّه المستبدة وبين ايدئولوجية الاستسلام والرّضوخ. وبنظرة تحليلية لهذه الأدوار، ندرك بأنّ العلاقة الأنثروبولوجية بين الحاكم والشعب تعمل على أساس علاقات استثمارية والتي يمكن التعبير عنها بثنائية القوّة والضعف.

ومن ثمّ تتوجه عناية مطران إلى أنّ أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى توسيع نطاق سيطرة الحاكم هي انقياد المحكومين؛ إذ إنّهم صاروا منقادين ومطيعين للسّلطة وهذا يضفي لها إضفاء مموّهاً. ولا يقف الشّاعر عند ذلك فحسب، بل نراه يضيق صدره من إشاعة الظّلم وغياب العدالة وينادي نداء العدل والإنصاف مستهزئاً بالحكّام المستبدين الّذين يقومون بتضييع حقوق الشّعب ويتعرض لهم بعدم إشغال أذهانهم بمصالح المواطنين:

أيـــن الـــقـضـــاء إلـيـــه أر بـــابُ الـمـمـالـك تـخـتـصـــم؟
أيـــن الـحـقـيـقـة؟ أيـــن إنصـــ افُ الـبـــرئ إذا ظُـلِـم؟...
لا تَشـــغـلـــوا أذهـــانـكـــم بـحـقـوق الشّـــعـب تـهـتضـــم؟

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۱: ۱۷۸)

وهذه الأوصاف ذاتها تكشف عن حقيقة أنّ الحاكم يمارس السّلطة على الأفراد؛ حيث أصبح قادراً على تغيير سلوكياتهم وتوجيههم نحو الغايات الّتي يحدّدها بفرض إرادته عليهم؛ حيث إنّ السّلطة لها القدرة على التّأثير على أدوار الشّعب لتحقيق أهداف الحاكم. ويبدو أنّ الشّعب هنا ينتسب إلى سلطة الحاكم حتّى يتقمّص شخصية جديدة تكسبه إيّاها السّلطة؛ إذ إنّ الأدوار تتبنّاها السّلطة وتسعى إلى تحقيق مقولاتها ومفاهيمها كإيدئولوجية كلية عامة للمجتمع الّذي تهيمن عليه وتحكمه؛ «كما أنّ كلّ وظيفة تتضمن نظرة للمجال السياسي تستهدف في النّهاية الوصول إلى السّلطة» (سبيلا، ۱۹۹۲: ۵۷).

ثمّ تلجأ السّلطة إلى القسر والدّمار وهي بمثابة حيوان مفترس وضارئ لا يشفق على أحد إلّا أنّها تكون جشعة ونهمة لتؤمّن استمرارها وتجدّد دورها في المجتمع. ويسوقنا هذا إلى إشارة واضحة تتعلق بفعالية السّلطة وقدرتها وظهور دورها في هذا المجال بغاية رئيسية تتجلّى في التأثير الفعلي على الأشخاص والوقائع ثمّ تمارسها على الأجساد قاصدةً اختراقها واستثمارها:

بَـربَـرت تـلـك الضـــوارئ دونَـهـم ثـمّ شـــدّت وهـي لا تـرحـم شـــفـرا
هشَـــمـتْ و انـتـهـشـــت وافـ ترســـت ما اشـــتـهـتْ نـهـمُـتـها عَـلـما وَهـبرا
ثمّ كَلّت شِـبعا وافترقـــــــــتْ فـي الـزوايـا تـتـوخّـي مُســـتـقـرّا

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۳: ۷۱)

ويسوق الشاعر بهذه الأبيات الثلاث، القارئ إلى جملة من الملاحظات تتعلّق بأدوار الحاكم الّذي يتحكّم في شؤون أفراد المجتمع

بإرادته، لا بإرادتهم وشريعتهم وإنّما يحكم بهواه؛ ممّا ينتج أنّ الحاكم قد تمكّن من تأسيس ايدئولوجيته والقيام بأدواره وبالتّالي تحقيق أهدافه بالاعتماد على السّلطة والهيمنة على الشّعب. ومازال الحاكم يتابع في سلوكياته المستبدة معبّراً عن أنّ السّلطة هي القدرة على إجبار الآخرين ضمن هذا النّظام السلوكي وتتوفر لديه الإمكانية المتاحة داخل علاقة اجتماعية معينة حتّى يكون قادراً على تولّى أمور المحكومين وتوجيههم حسب مشيئته.

ثمّ إنّ قصيدة «اللّبن والدّم» تميط اللّثام عن جانب آخر من الجوانب السّلطوية للحاكم معبّرة عن السّلطة الحاكمة وجناياتها ومدى إسرافها في تكريم المجرم وتذليل الكريم مشيرة إلى أنّ دور الحاكم المستبد أصبح مقصوراً على استثمار الآخرين من أجل العثور على المادّيات وحطام الدّنيا؛ إذ إنّه لم يقم بأداء حقوق الشعب وكأنّه يشرب دماء النّاس ويجعلها وسيلة الارتزاق لنفسه:

أسرفتَ في هـــــــذي الدّيار مهانةً ... لكريمها ومَعزّةً للمُجـــــــــــــرم
بالغتَ في طلب الحطام إلى مدى ... مُغني الولاةَ ولِلمعروش مُحطّم...
أُردُد إلى هـــــــذا الحِمى استقلالَه ... يخلُصْ طعامُك يا أمير مِن الدّم

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۳: ۱۳٤)

إنّ هذه الأبيات، تبيّن لنا أنّ السّلطة هنا تعمل فعلياً ورمزياً. فأمّا دورها الفعلي فيتمثل بالقوة المسيطرة على كلّ ما يدور في الإطار الاجتماعي الذي يشكّل ضغوطاً على آحاد الناس ويحدّد أدوارهم وتصرفاتهم.

أمّا الدور الرمزي: فيبين أنّ «الدّم بقي طويلاً عنصراً مهمّاً في آليات السّلطة، في تجلياتها وتمظهراتها وترجع مكانته تلك، في نفس الوقت إلى دوره الأداتي، القدرة على سفك الدّم وتسهيل إراقته، كونه عرضة للاستنزاف، وسرعة قابليته للفساد؛ إنّه مجتمع الدّم؛ فالسّلطة تتكلم من خلال الدّم الّذي هو واقع ذو وظيفة رمزية» (Foucault,1980:193,194). وما من ريب أنّ دلالة الدّم في مثل هذا المجتمع هي دلالة التهديد المستمر بالموت الّذي هو موضوع السّلطة؛ الموت للرعايا ولمن لا يشهر سيفه للدفاع عنها. وقد يظهر هذا التّحليل، الوجه المزدوج للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهنالك شيئاً ما إلى جانب سلطة الحاكم والموت والانتهاك ورمزية السيادة ألا وهو الدّم الذي في ظلّه تتشكّل بؤرة العلاقة بين سلطة الأقوى وانقياد الأضعف.

۳-۱- ۲. الضّبط الاجتماعي

يعتبر الضّبط الاجتماعي من الأدوار الأساسية للحاكم داخل البناء السياسي بشكل خاص وفي نطاق البناء الاجتماعي بوصفه العام، فهو يشمل «جميع درجات الضغط الاجتماعي الّذي يهدف إلى حمل النّاس على القيام بأدوارهم وفقاً للتوقّعات الموجودة في أيّ بناء اجتماعي» (الجوهري وشكري، ۲۰۰۷: ۳۳).

هناك علاقة بين السّلطة والضبط الاجتماعي، حيث تلجأ السّلطة في ممارسة فعلها وإخضاع الآخرين إلى الضبط الاجتماعي؛ هذا من جانب ومن جانب آخر «فإنّ الضبط الاجتماعي ذو علاقة وثيقة بالبناء السياسي لما له من انعكاسات وتأثيرات تترك آثارها على سلوكيات أعضائه» (Costello & laub,2020: 15). أضف إلى هذا أنّ الضّبط الاجتماعي ينطوي على تقرير العلاقة بين المتسلِّط والبناء السياسي باتخاذه وسيلة لإجراء أحكامه باستخدام القوّة والقهر؛ لأنّ الحاكم المستبدّ يسلك هذا الدّور الوظيفي ضماناً للسّيطرة على الأفراد، واستمراراً لبقاء سلطته؛ هذا من منطلق الأنثروبولوجيا

الاجتماعية. أمّا من المنظور البنائي، الوظيفي فإنّ «المجتمع نسق نظامي متكامل وأنّ ثمّة آليات للضّبط تعمل على تحقيق التّوازن داخل البناء ويضطلع البناء بعدد من الأدوار الّتي تعمل من خلال أهداف مشتركة» (فياض، ۲۰۱۸: ۲۵).

تعدّ ظاهرة العنف إحدى أساليب الضّبط الاجتماعي والّتي يتمّ من خلالها الاعتداء على الآخرين من أجل تحقيق مصالح شخصية غير مشروعة. ولعلّ أهمّ الأسباب الّتي ساهمت في استخدام هذا السلوك اتسامها بالطابع السياسي؛ على هذا الأساس فهو دليلٌ على انفجار السّلطة الّتي تعتدي بطريقة مباشرة على الأشخاص.

ومن يتابع هذا المفهوم للأنثروبولوجيا الاجتماعية في شعر مطران، يجد أنّه عني بهذه القضية عناية بالغة؛ لأنّ الشاعر عاش في فترة زمنية كان الحاكم المستبد يتبع فيها بعض أساليب الضبط الاجتماعي من أجل انصياع الشّعب؛ فلا بدّ له في ظلّ هذه الأحداث الّتي مرّ بها المجتمع آنذاك، أن يستوعب روح العصر ويواكب البناء السياسي مجاراة للنّمادج المتميزة لظاهرة الضبط الاجتماعي.

أمّا قصيدة «نيرون» فهي خير نموذج للتّعبير عن هذا الدّور الوظيفي الّذي يقوم به الحاكم المستبد بأبشع الصور؛ حيث يتمّ إطلاق النّار على المجتمع ليلاً وإحراقه بكلّ ما فيه من البشر والجماد. ويبدو جلياً أنّ هذا الأمر قد يأخذ شكلاً مادّياً عن طريق استخدام القوة الجسدية في التّخريب، كما يأخذ شكلاً معنوياً يستهدف الضغط النّفسي بتغيير إرادة الشّعب نحو الخضوع والاستسلام:

فاز نيرون بأقصى ما اشتهى محرقاً "روما" ليستبدع فكرا
شُبّت النّارُ بها ليلاً وقد رقدت أمّتُها وَسنى وسَكرى

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۳: ۶۰ و۶۱)

وبالنظرة الأنثروبولوجية للأبيات هذه، يتضح لنا من خلالها أنّ سلطة الحاكم المستبد تكون قسرية؛ إذ إنّ الحاكم يلجأ إلى العنف لممارسة الهيمنة على الغير؛ فهو يمارس دوره على أساس السّلطة والتّهديد والتّعذيب وما إلى ذلك من وسائل الضبط الاجتماعي. وفي هذا ما يدلّ دلالة واضحة على أنّ هناك علاقة وطيدة بين هذه الآلية الاجتماعية وبين العقوبة الجسدية في ظروف متعددة غامضة وفرض التّهديد على الأفراد.

و إلى جانب أدوار الحاكم هذه؛ فإنّ ضحاياه لم يتحيّنوا الفرص للمقاومة أو لردّ الصّاع صاعين؛ لكنّهم أصبحوا منقادين أمام هذا السّلوك الماثل؛ فلذا تمّت تأدية الضبط الاجتماعي عند الشّعب خضوعاً لمآرب الحاكم النفعية والشّخصية وهو الّذي ينال هذا الدور السلوكي عن طريق استخدام العنف والتهديد بالعقوبة.

ثمّ يعبر الشاعر عن رأيه الآخر تجاه هذا النّمط السّلوكي ألا وهو أن دور الحاكم يتجسّد في ضرب المحكومين بالسّوط، الأمر الّذي أدّى إلى كبت حرياتهم. وهذا يعني أنّ الحاكم لا يمنح الحريّة للشّعب، لكنّه «يمارس عليه الضّبط الاجتماعي بأساليبه المختلفة تعويضاً للسلطة السياسية عن عجزها في مواجهة الأزمات والصراعات الاجتماعية» (لابيار،۱۹۸۳: ۱۰۷). ويقوم باستلاب الحريّة ووضع القيود الصارمة ضماناً لاستقرار السّلطة واستمراراً لبقائها وتهميشاً للمحكوم؛ ثمّ وضعه في خانة العجز محاولاً استلاب الروح النقدية له حتى يجعله في شغل شاغل عن مهامه الأساسية أو الصّراع من أجل الإصلاح. وهذا كلّه يرينا أنّ العلاقة بين الحاكم والشّعب تُسنّي للأوّل تحقيق مبتغاه وللثاني الخضوع والتقليص لدوره الحقيقي.

الحكمُ بالجَلد في هذا الزّمان أما ذها كم الرّشدُ عنه يا أولي الحِجَى
أفلاذُ أكبادنا بالسّوط نضربهم أهكذا تُقتنى حريةُ الأمم

(مطران، ١٩٤٩، ج ٢: ١٢١)

بناء على ذلك فإنّ سلطة الحاكم تقوم على نوع من الضّبط الاجتماعي والّذي يحدّ من حرية الأفراد لتنفيذ أدوارها؛ إذ لولا تلك الحالة الّتي يتبعها الحاكم لما استطاع الاستيلاء على النّاس. وفي رأينا عندما يتحدث الشاعر عن الحريّة، يشير إلى أنّ العدالة أصبحت مفقودة في ذاك المجتمع؛ إذ إنّ العدالة لا تتحقق إلّا بحريّة الشّعب والّتي تتمثل بأشكال المشاركة في الشؤون السياسية ليقطع الطريق على المستبدين الّذين يتذرعون بمصلحة الشّعب لممارسة طغيانهم والتصرّف وفقاً لأهوائهم الشخصية. ويرافق هذا الدليل، دليل آخر و هو أنّ لغة الحوار تعطّلت بين الحاكم والمحكوم في تلك الفترة؛ لأنّ هذه اللغة تقوم بتنظيم العلاقة بينهما والّتي بدونها تفتقد المشاركة السياسية. ويقودنا كلّ هذا إلى أنّ غياب العدالة وبالتّالي الحريّة في ذاك المجتمع، يسير نحو التأثير السلبي على هويّة الشّعب والّذي يرمي إلى صياغة هويّة يفرضها على الواقع الإنساني في إطار مزيّف من التكيّف القسري.

وهكذا يستخدم الحاكم المستبدّ العنف والقهر من أجل فرض سياسته على المواطنين ويمتدّ بطش سلطته الدّيكتاتورية إلى مصير أفراد ذاك المجتمع والتحكّم في أسلوب حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.كما أنّ السّلطة الحاكمة تلجأ إلى نوع آخر من الضّبط الاجتماعي وهو الإرهاب «الّذي يعتبر أحد أساليب الضّبط الاجتماعي ويصل إلى درجة كبيرة من العنف في البناء السياسي؛ وذلك باعتباره نسقاً من أنساق المجتمع المعيارية لما يمتاز به من قدرة على الضّغط والتّأثير في نفوس الأفراد وبالتالي في المجتمع» (Costello & laub,2020: 5)؛ حتّى يؤدّي إلى خوف الإنسان من التعبير عن رأيه بحريّة ويقوم بشلّ تفكيره السليم تجاه

قضايا مجتمعه ويتمّ تسخير قواه لصالح الحاكم الغاشم:

وإذا كلّ وَلاء عامر تحته مَفسدةٌ تحفُرْ حَفرا
ظلّ في الإرهاب حتّى خَفّ، من قذفهم في روعِه ما كان وقرا

مطران، ١٩٤٩،ج ٣: ٥٤)

وكانت النّزعة العدوانية قد طغت على سلوك الحاكم ممّا أفضت إلى ضبط أدوار الأفراد وتشويه ثقافتهم في المجتمع الذي قضى فيه مطران أيّامه. وما من ريب أنّ الهدف من قيام الحاكم بهذا الدّور، هو تطويع الأجساد وغرس الرّعب في النّفوس لإخضاع الشّعب واستعباده بغية تحقيق مصالح الاستبداد الخاصّه. وممّا يجدر بالذّكر أنّ الفعل الإرهابي الموجّه إلى السّواد الأعظم من الشّعب لا يمثّل عنصراً عابراً أو طارئاً وإنّما يقوم على استخدام الحاكم المنظّم للإرهاب والتّهديد بشكل يترتّب عليه خلق حالة نفسية من الخوف وعدم الشّعور بالأمان.

أمّا في سبيل الحفاظ على الطّاعة، كان الحاكم أن يستعين في أمره بتأدية أنواع أخرى من الضبط الاجتماعي منها تشريد العلماء وتكسير الأقلام وقطع الأيادي من أجل استتاب الحكم. وهذا نفسه هو الّذي يدعو الشاعر للسخرية من دور هذه السّلطات، وإنّ مسعاها لقمع الأحرار لا طائل له؛ بل سيَؤولُ إلى نتيجة واحدة وهي إيقاظ روح الحريّة والاستقلال للشّعب:

شرِّدوا أخيارَها بحراً وبرّا واقتُلوا أحرارَها حُرّاً فَحُرّا...
سِّروا الأقلامَ هل تكسيرُها يَمنع الأيدي أن تنقُشَ صخرا؟

قَطِّعوا الأيدي هل تقطيعها يمنع الأعينَ أن تنظُرَ شزرا؟

(مطران، ۱۹۴۹، ج ۲: ۹)

ولعلّ أول ملاحظة هنا هي أنّ السّيف أكثر توظيفاً عند الحاكم من القلم؛ ببيان آخر إنّ حاجة الحاكم المستبدّ إلى السّيف أشدّ من حاجته إلى القلم؛ كما ذهب إليه ابن خلدون: «فيكون للسّيف مزيّة على القلم ويكون أرباب السّيف أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً» (ابن خلدون، ۲۰۰۴: ۳۱۵). ومن ثمّ يظهر مدى فاعلية السّلطة في ضبط أدوار الشّعب؛ فإنّ الحاكم يقوم بضبط سلوكيات الأفراد لمنعهم من القيام بأدوارهم الرئيسة والممارسات المخالفة للسلطة الحاكمة.

وأكبر الظنّ أنّنا لا نبعد بعيداً إذا قلنا أنّ ممارسة الحاكم للضّبط الاجتماعي بمختلف أساليبه ليست مَعنية بتدبير شؤون المجتمع، غير أنّها أصبحت متمثلة لاستمرارية الحكم والسيطرة على المجتمع ومقوماته. ومن هنا يكون انشغاله الأوّل بتثبيت دعائم سلطته، ثمّ تخويف الشّعب من التّعرض المطلق للسّلطة المسيطرة؛ ممّا يؤدي إلى تثبيت الحكم والتّوازن في ذلك المجتمع.

ومن الممكن القول حسب ما تطرقنا إليه في هذا المجال، أنّ عدم الانسجام بين أدوار الحاكم والمحكوم في المجتمع الذي عاش فيه مطران، قد سبّب إنقطاعاً خاصّاً في التضامن الاجتماعي؛ حيث أخذ الحاكم الطابع العنيف اتقاء من رفض الانصياع من أبناء الشّعب و أدّى ذلك إلى ظهور اللانظامية في ذاك المجتمع.

۳-۲. مكانة الحاكم

من أهمّ المفاهيم الأساسية التي تتعلّق بمفهوم الدّور هو مفهوم المكانة والتي تعني «مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممّن له معهم علاقات اجتماعية» (لينتون،۱۹۶۷: ۳۴۸)؛ تطبيقاً على هذا و نظراً لموضوع بحثنا المتعلق بأدوار الحاكم، علينا أن نتعرف على المكانة التي كان يحتلّها الحاكم في النسق الاجتماعي في الفترة التي عاش فيها مطران؛ إذ إنّ أدوار الحاكم الحقيقية أو المعطاة في إطار البناء السياسي تحدّد كيفية ممارسات الشعب المتعلقة به، كما أنّه هو مسؤول عن تحديد الأدوار وطبيعة العلاقات مع المحكومين.

وأنت ترى هذه الرؤية الأنثروبولوجية الاجتماعية عند خليل مطران؛ حيث يوجه اهتمامه على مكانة الحاكم مكرّساً على تأثيره في تفعيل السّلطة ودوره الكبير في تدعيم الأنظمة الحاكمة وعلى رأسها تبنّيه مقاليد الحكم وكان مرجع ذلك اتّسامه بمكانة اجتماعية عليا؛ في حين أنّ المجتمع المصري لم يدرك أنّ المكانة هذه، زائفة لا دوام لها.

أ كان منزلُه في المجد منزلَه لو رقَّ قلباً لشيب أو لشبّان؟

أم كان ما أدركتْ مصرٌ على يده ذاك المقام الذي أزرى بكيوان

ألا و قد بلغت في الخافقينِ به مكانةً لم تكن منها بحُسبان...

(مطران، ۱۹۴۹، ج۲ :۱۷۷ و۱۷۸)

والواقع أنّ رصدنا للأبيات الثلاث أعلاها، يوضح بجلاء أنّ المكانة الاجتماعية للحاكم في النسق الاجتماعي وفي نطاق البناء السياسي آنذاك هي المنطلق الرئيسي لتحديد أدواره السلطوية كلّها؛ هذا من جهة وامتلاك الحاكم من جهة أخرى لهذه المكانة يؤثر على طريقة التفكير للشعب وسلوكياته الاجتماعية وكيفية تعاملهم معه. ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى رسوخ هذه الفكرة التي كانت سائدةً في أذهان الشعب في ذلك الزمن، وهي أنّ الحاكم ذو قدسية عظيمة وألوهية

خاصّة. لذلك أدّت هذه العلاقة الحميمة بين السلطة وقدسية الفكرة إلى توطيد هيمنة الحاكم واستمرارها على ذلك المجتمع.

ولقد بلغ الأمر بأفراد مجتمع مطران بإحلالهم الحاكم محلّ الإله والخضوع لأوامره والاعترف بأحقيته في الحكم ممّا أدّى إلى شدّ أزره و فرض طاعته التي لم يكن هنالك مفرٌّ منها، وهذا ما مكّن السلطة وأدّى إلى إجراء أدوارها الغاشمة. و زاد الطّين بلّة ووصل الأمر بالشعب إلى السجود له وكلّ هذا إذا أكّد على شيء فإنّه يؤكد على إضفاء الشرعية للحاكم وأدواره:

سَجدوا لكســـــرى إذ بَدا إجلالا　　كسجـــودهم للشّمس إذ تتلالا

تستقبلـــون نعالَه بوجوهكم　　وتُعفّـــرون أذلةً أوكـــالا

(مطران،۱۹۴۹، ج ۱: ۱۲۰)

واللّافت للنظر أنّ هذه الفكرة تشكّل كذلك إيدئولوجية للسّلطة الحاكمة الّتي لا تكاد تجد مسوّغاً لوجودها ومشروعيةً تؤولها في الاستمرار في طغيانها وهيمنتها على المجتمع استمراراً تنتفع منه في تهديد الأمّة. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ سلطة الحاكم لها الدور الرئيسي في ترسيخ هذه الفكرة عند أفراد ذلك المجتمع؛ لـ «أنّها قامت بفرض صيغة التكيّف مع الظروف السائدة، ثمّ وعلى مرّ العصور أصبح هذا التكيّف الموجود أُطر سلوكية وبنى ثقافة الفقر. حيث نلحظ أنّ هذا الفقر الثّقافي عند أفراد المجتمع يتجلّى لا سيّما عند سجودهم للحاكم ومنحه المكانة العليا،وتصبح مكانة الحاكم على رأس هرم النّظام السياسي» (جعفري وآخرون،۱۴۰۱: ۴۲۹ و۴۳۰).

وبناء على هذا، نحن نشاهد وجهاً آخر من العلاقة بين فكرة الشّعب ومكانة الحاكم في المجتمع الّذي قضى فيه مطران أيّامه. حيث إنّ الشاعر يتحدث عن مكانة الحاكم الممنوحة من جانب الشعب والتي تحاكي الشمس في ذروة السماء وفي إجلاء الظلمة والعتمة:

وكيفَ عادوا و«رمســيسٌ» مُقدّمُهم　　إلــى الـرّبـوع بـأوســـاقٍ وغِـلـمـان...

إن يـغدُ ربَّهُم الأعلى فلا عَـجَبٌ　　هل مِن نظامٍ بلا شـــمسٍ لأكوان؟

(مطران، ۱۹۴۹، ج۲: ۱۷۹ و۱۸۰)

ويبدو أنّ الفكر الأنثروبولوجي هنا يكشف لنا أنّ الشّمس تعتبر في رأيهم تجسيداً مادياً للقوة الإلهية و«تستخدم استخداماً سلطوياً في ساحة الممارسات السياسية و هذا ما يعزّز مدى مقبولية الحاكم.» (فكوهي، ۱۳۸۵ش: ۲۸۶) ومردّ ذلك يعود إلى أنّ التصورات الأسطورية الراسخة في أذهان أفراد المجتمع آنذاك،كانت بمثابة رادع يمنعهم من مخالفة الطقوس خوفاً من ثأر الآلهة. لأنّ «هذه العادات والتقاليد هي أفكار ومعتقدات كانت مقياساً لحضارة الشعب آنذاك وتعتبر رمزاً لتماسك المجتمع والأصالة والتراث» (هضام ومرنيز،۲۰۲۲: ۳۹) لذلك تجري السيادة والقيادة من الأعلى إلى الأسفل في مثل هذه الحالة وتسري أدوار الحاكم نافذة المفعول ولا حاجة إلى إقناع الآخرين لتبنّي أوامره؛ فالنواة الصلبة لانسجام الحكم وتوازنه تجد نفسها حاضرة في البناء السياسي والذي كان هو الهدف المنشود في الاتجاه البنائي، الوظيفي.

۳-۳. العلاقة بين الحاكم والشّعب

من منظار الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا يمكن ممارسة أيّ دور سياسي إلّا حين يؤخذ بالاعتبار من خلال التفاعل الّذي يقوم به أفراد المجتمع. وأما من مدخل البنائي، الوظيفي فإنّ من أبرز المحاولات الّتي قام بها الأنثروبولوجيون الوظيفيون

هو اهتمامهم «بمتابعة ما يؤدّيه كل عنصر من دور أو وظيفة في إطار نظام محدّد وفي علاقته مع العناصر الأخرى وفق قانون التّفاعل والانسجام الوظيفي» (سعيدي، ۲۰۰۶: ۶۰). ومن هنا جاءت أهمية التّطرق إلى علاقة الحاكم والشّعب. إنّ النّظرة الأنثروبولوجية الاجتماعية في شعر مطران تكشف لنا أهمّ الأدوار الّتي تكلّف بها الشّعب وخضع أمامها، ألا وهي السّلطة. في هذا المضمار تمثّل ممارسة القوّة جانباً مهمّاً في العلاقات بين الحاكم والمحكومين والّتي تعتبر علاقة إنسانية غيرمتساوية سيطر الحاكم المستبد فيها عليهم؛ حيث يتميز نموذج الدّور الأعلى للسّلطة بهيمنة العلاقات العنيفة بين الحاكم ورعاياه وذلك بفضل قوة الأدوار المكتسبة بالطّاعة وأسلوب السيطرة الّذي يصف العلاقة الاجتماعية بتغليب إرادة الحاكم على الآخرين. ثمّ تتصل نزعة الخضوع والقيم المرافقة لها بعلاقات القوة والاستبداد وبانغلاق المجتمع على بنيته الطبقية. حيث أصبح أحد الملامح البنائية، الوظيفية في المجتمع آنذاك، إنّ هيمنة الطبقة الحاكمة على الطبقة الخاضعة. هي ما دعت مطران إلى أن يمضي في الحديث عن الطّبقة الحاكمة الّتي كانت تحتكر أدوار الشّعب حفاظاً على مصالحها ممّا ينتج عن ذلك تضييع حقوق الطّبقة الأخرى. في هذه الظروف القاسية تبيع النساء أولادها وما تمتلك من الحلى والأموال فيزداد عدد الأطفال المتسوّلين والمتسكّعين:

أ عَـدلاً يُبـاهي عصــرُنـا زَمنـاً خَلا وقـد عُوّدَ الأطفـالُ فيـه التَسـوّلا؟

وسِـيمت به الأبكارُ سَـوماً مُحللّا وباعَت نســاءٌ وُلدَها واشــتَرت حِلَى؟

(مطران، ۱۹٤۹، ج۱: ۲۳۱)

ولانبتعد عن الصّواب إذا قلنا إنّ الأسرة في تلك الفترة كانت تشكّل وحدة اجتماعية يرث الأعضاء من خلالها الانتماء الطبقي ومن هنا تبدأ ظاهرة الفوارق الطبقية بين الطبقتين: الحاكمة والخاضعة؛ ثمّ إنّ الوضع الطّبقي يحدّد جوانب عدّة من الحياة الأسرية وأدوار أعضائها بما فيها من تنوع أنماط الحياة ونوعية العلاقات ضمن الأسرة وكذلك أنماط التّربية والتّنشئة في هذا الإطار الاجتماعي.

إضافة إلى هذا فإنّ ظاهرة تكدّس الثروات والأموال في يد الطبقة المسيطرة تدلّ على البون الشّاسع بين الواقع المعيش عند الطبقتين؛ هذا ما منع الأسرة من أن تؤدّي عدّة أدوار مهمّة؛ منها إعداد الأعضاء كأفراد فاعلين في المجتمع وتزويدهم بالضمير الاجتماعي السليم إضافةً إلى ما يتعلّق بالثّقافة والمشاركة السّياسية في المجتمع. تأسيساً على ما سبق، يبدو جليّاً أنّ هذا الوضع الطّبقي الّذي يتمثل في قضايا مختلفة منها: المكانة الاجتماعية واللّامساواة في توزيع الثروات قد يؤدي إلى علاقات هرمية كما يخلق علاقات الطّاعة والخضوع؛ وهذه هي الركيزة الأساسية في علاقات الحاكم والشّعب. وممّا يلفت الانتباه أنّ الطبقة الحاكمة في ذلك المجتمع، لم تأخذ بعين الاعتبار مصالح الأمّة ومختلف طبقاتها، بل تمادت في الاحتكار لنفسها وللسيطرة على الشّعب؛ لذلك سادت في ثقافة ذلك المجتمع ما يمكن تسميته بالنّزعة الطّبقية مشاراً بها إلى التحيز والتملّك لطبقة الحاكم ضدّ المحكوم والتوصل إلى وجود الفجوات الواسعة بين الطبقتين. إذ إنّ «الفروق المتوفرة في الأدوار فهي تكوّن الأساس لطبقات اجتماعية تحدّد الأدوار الاجتماعية السائدة في البناء السياسي وكيفية السلوك المرتبط بها» (سعيد فرح، ۱۹۹۸: ۳٤٤).

فما تزال الطبقة الحاكمة تحتكر ملكية الثّروة والجاه والنّفوذ في السّلطة والمكانة الاجتماعية المرموقة؛ بينما يعاني غالبية الشّعب الفقر النسبي في مختلف أوجه الحياة العامة والخاصّة. والمتابع الأنثروبولوجي الاجتماعي يجد حقيقة هذا الأمر في فكرة مطران على أن يلاحظ انشطار بناء المجتمع وتضاؤل المكانة الاجتماعية للشّعب:

بـنـاءٌ بـمـالِ الـنّـاسِ قـامَ جِـبـايـةً ولَـوْ ذوّبـوا تـذهـيـبَـه لـجَـرى دَمـاً...
هـنـالـك إطـعـامٌ كـثـيـرٌ وإنّـمـا يُـخصّ به مَن كان لـلمَحَقّ أهضَـــما
(مطران،۱۹٤۹، ج۱: ۱۱۵)

والحق أنّ حرمان طبقة الشّعب من الحقوق والمكانة الاجتماعية أدّى إلى عجز هذه الطبقة وظهور فجوات عميقة ما بينها وبين الطبقة الحاكمة. والأمر اللافت هو أنّ الفجوة بين الطبقتين كانت تبرّر تراتبية السّلطة تبريراً ايدئولوجياً وثقافياً؛ حيث إنّها كانت تشكّل ترتيباً وانتظاماً مع تطويع الوضع الطبقي واللامساواة الاجتماعية لكي تضفي للسّلطة شرعيتها وأحقيتها لدى الجميع؛ كما آلت إلى التفرقة بين الحاكم والمحكوم في الأدوار؛ وأسفرت عن أخطر جوانب البناء الاجتماعي الّذي تمثل بدرجة الاختلاف في الأدوار وإعاقة عملية التغيير الإيجابي للمجتمع آنذاك. وفي تلك الحالة انفصل الشّعب انفصالاً وظيفياً عن أدواره الحقيقية عند هيمنة سلطوية لا تتناهى عن النّهب والقمع المتواصل .

النتيجة

يُعدّ الدّور من أهمّ الوحدات الوظيفية الّتي يهتمّ به الأنثروبولوجيون الاجتماعيون لتبيين الممارسات السلوكية للأفراد وفي إطار خاص من البناء الاجتماعي. استناداً إلى هذا ومن خلال دراستنا لأدوار الحاكم في نطاق البناء السياسي وبالتركيز على شعر مطران، اتّضح لنا أنّ أدوار الحاكم تمثّلت في المستويين:

المستوى الأول: السّلطة الّتي كان الحاكم يقوم بإجرائها عن طريق الخدعة والتّزوير لتدليل التأثير على المحكومين وترسيخ سطوته عليهم. فضلاً عن استخدامه آلية القسر والدّمار حتّى يتمكن من فرض ايدئولوجيته والقيام بأدواره السلطوية ولا سيّما القدرة على إجبار الآخرين على امتثال أوامره وتوجيههم حسب مشيئته.

أمّا المستوى الثّاني: الّذي لا ينفصل عن الأول فهو عملية الضّبط الاجتماعي والّذي يمارسه الحاكم لضبط أدوار المحكومين وممارساتهم الاجتماعية بمختلف أساليبه سواء جسدية أو نفسية. ثمّ إنّ الغاية الّتي تختفي وراء هذا الدّور الوظيفي هي انصياع الشّعب لأدوار الحاكم. بعبارة أخرى لقد أفرزت ثقافة الاستبداد والسّلطة بالإضافة إلى استخدام آليات الضبط الاجتماعي أنماطاً أخرى من الثقافات السلبية وهي ثقافة الخوف والخضوع والّتي انعكست سلباً على أدوار الشّعب وقامت بإلغاء أيّ شكل من أشكال المشاركة السياسية في الحكم لتصبح ممارسة السّلطة حكراً على الحاكم.

ثمّ إنّ الحاكم لم يأخذ مكانته عن طريق مركزه السياسي فحسب؛ إلّا أنّه أخذها من خلال تأييده من جانب الشّعب و إضفاءه الشرعية له. حيث إنّ العلاقة المباشرة بين أدوار الحاكم السّلطوية وتكيّف الشّعب معها أفضى إلى استعلاء شأن الحاكم ومن ثمّ انهيار المحكوم ذاته وما رافقه من الانفصال عن أدواره الحقيقية.

بناء على هذا ومن خلال تحليل أدوار الحاكم في مجتمع مطران يتضح لنا أنّ بنية النّظام السياسي مجموعة من الأدوار الّتي تتعلق بالتّوزيع السلطوي وهذا يعني أنّ البناء السياسي مجموعة من الأدوار الّتي تتضمن عناصر السّلطة والحكم وتتغلّب ظاهرة سلطة الحاكم مع إعمال الضبط الاجتماعي وأساليبه المختلفة في توزيعها على أدوار الشّعب وسلوكياته؛ حتّى يتمّ بموجبه تثبيت الحكم وتوازن البناء السياسي وهو الغاية المنشودة في الاتجاه البنائي، الوظيفي.

المصادر و المراجع

العربية

- زيتوني، لطيف. (۲۰۰۲ م)، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ط ۱، بيروت: مكتبة لبنان.
- طاهر، بهاء. (۲۰۰۱ م)، **الحب في المنفي**، ط ۱، القاهرة: دار الهلال.
-عزام، محمد. (۲۰۰۵ م)، **شعرية الخطاب السردي**، ط ۲، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الغذامي، عبدالله. (۲۰۰۰ م)، **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، ط ۱، بيروت: الدار البيضاء.
- قطوس، بسام. (۲۰۱٦ م)، **دليل النظرية النقدية المعاصرة: مناهج وتيارات**، الكويت: جامعة الكويت.
- النابلسي، شاكر. (۱۹۹۴ م)، **جماليات المكان في الرواية العربية**، ط ۱. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الفارسية

- آقاگل زاده، فردوس. (۱۳۹٤)، زبان شناسي كاربردي و مسائل ميان رشته اي، چاپ اول تهران: علمي.
- رضایی، محمد. (۱۳۹۰ ش)، «مطالعات فرهنگی و آیندهٔ علوم اجتماعی در ایران: مطالعات فرهنگی ایرانی، انواع و آسیب‌ها»، دانشگاه تهران: **برگ فرهنگ**، دورهٔ ۱۱، شمارهٔ ۲۳، صص ۳۶- ۵۹.
- سجودی، فرزان. (۱۳۹۰ ش)، **نشانه شناسی: نظریه و عمل**، چ ۱، تهران: علم.
- قربانی مادوانی، زهره؛ عربی، مینا. (۱۳۹۷ ش)، «تحلیل نشانه‌شناسی فرهنگی رمان موسم الهجرة إلی الشمال» بر مبنای الگوی طبیعت و فرهنگ»، دانشگاه امام خمینی: **لسان مبین**، دورهٔ ۹، شمارهٔ ۳۲، صص ۸۱- ۱۰۰.
- کالر، جاناتان. (۱۳۹۰ ش)، **در جستجوي نشانه‌ها**، چ ۱، تهران: علم.
- کریمی، ایوب. (۱۳۹۱ ش)، «مفهوم هژمونی و امکان قدرت‌یابی گفتمان‌های حا شیه‌ای»، دانشگاه شهید بهشتی: **رهیافت‌های سیاسی و بین‌المللی**، دورهٔ ۵، شمارهٔ ۲۹، صص ۱۷۵- ۱۹۱.
- کورت، و سلي. (۱۳۹۱ ش)، **زمان و مکان در دا ستان مدرن**، ترجمه: گنجي، فرناز و ا سماعيل‌پور، محمدباقر، چ ۱، تهران: آوند دانش.
- محمدحسینی، احسان. (۱۳۹٦/۹/۱۷ ش)، «مفهوم فرودگاه در دنیای مدرن»، **سیناپرس**: https://sinapress.ir.
- میرصادقی، جمال. (۱۳۹۲ ش)، **عناصر داستان**، چ ۸، تهران: سخن.
- هرمن، دیوید و همکاران. (۱۳۹۱ ش)، **دانشنامهٔ روایت‌شناسی**، ترجمه: محمد راغب و همکاران، چ ۱، تهران: علم.

References

-Aghagolzadeh, F. (2014). *applied linguistics and interdisciplinary issues* (1st ed.). Elmi Publications. (in Persian)

-Al-Ghazami, A. (2000). *Cultural Criticism: A review of different Arabic culture types* (1st ed.). Baida Publications. (in Arabic)

-Al-Nabulsi, S. (1994). *Aesthetics of place in the Arabic novel* (1st ed.). Arab Research and Publishing Institute. (in Arabic)

-Azzam, M. (2005). *The poetry of narrative discourse* (2nd ed.). Union of Arab Writers. (in Arabic)

-Ghorbani Madovani, Z., & Arabi, M. (2018). Analysis of the cultural semiotics of the novel Season of Migration to the North based on the model of nature and culture. *Journal of Lisan-i Mubin*, *9*(32), 81–100. (in Persian)

-Herman, D., et al. (2012). *Encyclopedia of Narratology* (M. Ragheb, et al., (trans.); 1st ed.). Elm Publications. (in Persian)

-Kahler, J. (2011). *In search of signs* (1st ed.). Elm Publications. (in Persian)

-Karimi, A. (2014). The concept of hegemony and the possibility of gaining power through marginal discourses. *Journal of Political and International Approaches*, *5*(29), 175–191. (in Persian)

-Kurt, W. (2014). *Time and place in modern fiction* (F. Ganji & M. B. Ismailpour (trans.); 1st ed.). Avand Danesh. (in Persian)

-Mirsadeghi, J. (2013). *Story elements* (8th ed.). Sokhan. (in Persian)

-Mohammad Hosseini, E. (2017). *The airport concept in the modern world*. https://sinapress.ir/ (in Persian)

-Qatous, B. (2016). *A Guide to Contemporary Critical Theory: Approaches and Currents*. Kuwait University. (in Arabic)

-Rezaei, M. (2011). Cultural studies and the future of social sciences in Iran: Iranian cultural studies, types and harms. *Barge Farhang*, *11*(23), 36–59. (in Persian)

-Sojodi, F. (2011). *Semiotics: theory and practice* (1st ed.). Elm Publications. (in Persian)

-Tahir, B. (2001). *Love in Exile* (1st ed.). Al-Hilal Publications. (in Arabic)

-Woodward, K. (1997). *Identity and difference* (Vol. 3). Sage.

-Zeitouni, L. (2002). *Encyclopedia of narratological terms* (1st ed.). Lebanon Library. (in Arabic)

فصلنامهٔ علمی لسان مبین
(پژوهش زبان و ادب عربی)
شاپای چاپی: ۸۰۰۲-۲۳۵۵
شاپای الکترونیکی: ۲۶۷۶-۳۵۱۶

انسان‌شناسی اجتماعی کارکرد فرمانروا در شعر خلیل مطران

شهلا جعفری*[۱]، سید فضل الله میرقادری[۲]، حسین کیانی[۳]

[*۱]دانش‌آموخته دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، شیراز، ایران.

[۲]استاد گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، شیراز، ایران.

[۳]دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، شیراز، ایران.

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
مقالهٔ پژوهشی

دریافت:
۱۴۰۲/۰۴/۱۹
پذیرش:
۱۴۰۲/۱۱/۲۳

چکیده

انسان‌شناسی اجتماعی به بررسی کارکرد انسان‌ها و رفتار اجتماعی آن‌ها در چارچوب نظام اجتماعی می‌پردازد. بر این اساس، کارکرد از مهم‌ترین مفاهیم انسان‌شناسی اجتماعی به شمار می‌رود که به فعالیت افراد در سازمانی ویژه اشاره دارد. از آن‌جا که خلیل مطران در جامعه‌ای زندگی می‌کرد که پادشاهان خودکامه عثمانی بر آن حکومت می‌راندند و کارکردهای آنان، سبب سرسپردگی و فرمانبری ملت در برابر دستورهای پادشاه و دیگر پیامدهای منفی شده بود و مانع پیشرفت اجتماعی جامعه آن زمان شده بود؛ بدین ترتیب مطران با تکیه بر نمودهای نوآوری خویش توانست مفاهیم جدید انسان‌شناسی را خارج از چارچوب زمان و مکان بررسی نماید و با وارد کردن شعر عربی به سمت و سویی جدید، پایه‌های مکتب خویش را در راستای کارکردهای انسان پی‌ریزی نماید. بر این اساس، پژوهش حاضر بر آن است تا با تکیه بر روش تحلیل محتوای کیفی و در پرتو نقد اجتماعی، به عنوان سنگ بنای پژوهش‌های انسان‌شناسی اجتماعی، به تحلیل مهم‌ترین کارکردهای فرمانروا در شعر خلیل مطران بپردازد. نتایج پژوهش بیانگر آن است که پادشاه، کارکردهای سلطه‌جویانه خویش را خارج از چارچوب قانون بر ملت تحمیل نموده است و جهت دست یافتن به منافع خود وساماندهی امور، از ساز و کارهای کنترل اجتماعی- به عنوان تنظیم‌کننده رفتار افراد در راستای دستورات فرمانروا- بهره گرفته است. این امر بر کارکرد ملت و رفتار اجتماعی آنها تأثیر گذاشته و سبب شده تا جایگاه فرمانروا را ترفیع و مشروعیت بخشند. همه این امور زمینه روابط طبقاتی را در آن جامعه فراهم نموده است.

کلمات کلیدی: انسان‌شناسی اجتماعی، کارکرد، سلطه، کنترل اجتماعی، خلیل مطران.

استناد: جعفری ، شهلا ؛ میرقادری، سید فضل الله ؛ کیانی ، حسین (۱۴۰۳). *انسان‌شناسی اجتماعی کارکرد فرمانروا در شعر خلیل مطران* ، سال شانزدهم، دوره جدید، شماره.پنجاه و پنجم، بهار۱۴۰۳: ۱۲۸-۱۰۹.

DOI: 10.30479/lm.2024.19024.3568

ناشر: دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)

حق مؤلف © نویسندگان.

*- نشانی پست الکترونیکی (نویسنده مسئول): sh.jafary90@gmail.com